تفاصيل (15) يوماً أسيراً في جوانتنامو (سمارة) يرويها الزميل الصحفي بشير الحزمي

حريتنا تصادر ومصالحنا تعطل وثمن حريتنا يدفع من جيوبنا دون ذنب اقترفناه

من يتحمل مسؤولية الانفلات الأمني القائم.. ولماذا لا تقوم الدولة بمسؤوليتها تجاه مواطنيها؟!

(15) يوماً قضيتها مع رفاقي التسعة في معتقل جوانتنامو (سمارة) ظلماً وعدواناً دون ذنب اقترفناه سوى أننا من أبناء مديرية الحزم بمحافظة إب.

ففي صباح يوم جميل مشرق هو يوم الأحد الموافق 26/ 6/ 2011م كنت في طريقي إلى صنعاء قادماً من مسقط رأسي مديرية الحزم بعد زيارة قصيرة إلى القرية حيث تقيم فيها أسرتي بصورة مؤقتة بعد أن نزحنا بهم من صنعاء هرباً من قذائف الـ (آر بي جي) التي قضت على الأخضر واليابس في حي الحصبة والأحياء المجاورة وحولتها إلى أطلال تحكي حكايات مريرة لن تمحى من ذاكرة الإنسانية بسهولة.

أبناء الحزم الذين تعرضوا للاختطاف في نقيل سمارة بينهم الزميل بشير الحزمي

هل ستتحول اليمن من دولة مؤسسات إلى دولة مشايخ وأعيان

الأسير المحرر/ بشير الحزمي

وأنا في طريقي إلى صنعاء وفي أعلى قمة سمارة تحت قلعة سمارة مباشرة إذا بنقطة تفتيش غير اعتيادية قد قطعت الطريق الوحيد الذي يربط صنعاء بمدينتي إب وتعز، فتوقفنا مثل غيرنا من المسافرين إلى صنعاء أو النازلين منها وإذا بمجموعات كبيرة تصل أعدادها إلى العشرات مدججة بمختلف أنواع الأسلحة تطلب من كل مسافر إبراز بطاقته الشخصية ويسألونه من أين أنت؟ وعلى الفور أبرزت بطاقتي الشخصية كغيري من المسافرين خصوصاً ونحن لا ندري من هؤلاء الذين يقطعون الطريق ولماذا يطلبون إبراز هوياتنا وإذا بمن أخذ بطاقتي الشخصية ليتفحصها يقول لي: أنت حزمي؟ فقلت: نعم. فقال: من أين؟ فقلت: من حزم العدين. مع علمي اليقين أن آخر من يمكن أن تكون عليهم مشاكل أو قد يكونون مطلوبين لأي قضية هم أبناء الحزم لأنهم بطبيعتهم مسالمون وطوال حياتي لم أسمع أنهم كانوا أهدافاً أو مطلوبين في أي قضية. تفاجأت عندما طلب مني النزول من السيارة التي كنت استقلها وقيل لي: أنت ضيف عندنا. فقلت لهم: لماذا وما المطلوب مني؟ فقالوا: أنت من الحزم وأبناء الحزم اليوم سيكونون ضيوفاً عندنا لأنكم غرماء لنا وبيننا وبينكم مشكلة ويوجد لدى أحد مشايخكم أسرى لنا.

فطلبت مزيداً من التوضيح فقال لي أحدهم: لا تخف، فلن تمس بأذى وأنت ضيف معزز مكرم حتى تحل مشكلتنا وبدأ يسرد علي مشكلتهم مع أبناء الحزم حيث استطرد بالقول: بيننا وبين الشيخ فيصل الشعوري مشكلة تعود لعدة أشهر على أرضية في مدينة إب وقد قام الشعوري قبل ثلاثة أشهر بطريقة غادرة بأسر ثلاثة من أقربائنا في وقت متأخر من الليل عندما كانوا يحرسون الأرضية، وقد فشلت كل الوسائل لاسترجاع أسرانا سواء عبر الوساطات والمشايخ والتحكيم أو عبر الدولة، ولدينا أمر من النيابة بالقبض القهري على الشعوري لكن لم ينفذ، وبعد أن تدارسنا الموضوع قررنا أن نقطع الطريق الرئيسي الذي يمر من سمارة ولكن المسؤولين وعدونا بحل المشكلة ولكن دون جدوى فاعتزمنا أسر أي شخص من أبناء الحزم يمر من الطريق حتى يتحرك مشايخ الحزم ويطلقوا الأسرى الثلاثة المحتجزين لدى فيصل الشعوري. فقاطعته بالسؤال: ولكن من أنتم؟ فقال: نحن من جماعة الشيخ حزام العميسي من أبناء منطقة سمارة وهذه قرانا حيث لوح بيديه إلى القرى المجاورة شمال الطريق في أعلى قمة سمارة تحت القلعة التاريخية المشهورة مباشرة، وهي قرى صغيرة مترامية الأطراف فوق أعالي قمم سلسلة جبلية شمال طريق سمارة.

فقلت له: وما دخلنا نحن بقضيتكم مع أهل الشعاور، نحن دائرة وهم دائرة أخرى ولنا مشايخنا ولهم مشايخهم ولدينا عضو في البرلمان ولديهم عضو في البرلمان لأن الحزم كبيرة ومترامية الأطراف ولا نعرفهم لأنهم في الحقيقة بعيدون عن منطقتنا، فقال لي: الشعوري يحمل بطاقة مكتوباً عليها مديرية الحزم ولذلك كل أبناء الحزم غرماء لنا حتى يطلقوا أسرانا.

وتحت تهديد السلاح ووجود جموع كبيرة منهم على الطريق وعلى قمم الجبال اضطررت للرضوخ والانصياع لمطالبهم حيث اقتادوني إلى سيارة جيب حبة لوحاتها المعدنية مغطاة بالطين، وخرجوا بي عن الطريق الإسفلتي باتجاه بيت الشيخ إلا أن السائق تلقى مكالمة هاتفية وتوقف ليتحول بالسيارة باتجاه مدرسة كانت جوار الطريق هي مدرسة محمد الدرة وهي بجوار محطة البترول عند مدخل الطريق إلى قرى سمارة حيث أدخلوني المدرسة التي كانت خالية من أية حركة أو تواجد لأي شخص فيها وأرادوا إدخالي أحد الفصول التي كانت مفتوحة وتركي فيها فرفضت وفضلت الجلوس في حوش المدرسة وجلس معي أحد المسلحين وصادر هاتفي وبدأ يتبادل معي الحديث وأكد أن هذا الخطف يمتلكون محلات بيع معدات ثقيلة ومولدات كهرباء وأما عبد الفتاح الصيري ومعه رفيقه عبد الرحيم فقد كانا قادمين بسيارتهما الهيلوكس غمارتين من صنعاء باتجاه إب حيث يعمل عبد الفتاح رئيس مؤسسة خيرية تقوم بتنفيذ العديد من المشاريع الخيرية وبناء المساجد ومقرها في شارع العدين بمدينة إب وأما الأخوان محمود ومحمد فقد كانا عائدين من القرية إلى صنعاء حيث يعملان في محطة إنتاج مياه الشرب وقد كانا في زيارة للقرية لتوديع أحد إخوانهما المغادر إلى السعودية للغربة، أما إبراهيم فهو شاب لم يتجاوز الـ (21) طالب سنة أولى في جامعة صنعاء كان ذاهباً إلى صنعاء لاستكمال إجراءات الفيزة إلى السعودية للعمل بعد أن ضاعت عليه السنة الجامعية بسبب الاعتصامات، الأخ محمد مرشد كان ذاهباً إلى صنعاء في زيارة قصيرة لإتمام عقد زفاف بنت أخيه على أحد أقاربه كونه الوسيط لكلا العريسين، وأما أنا فقد كنت متجهاً إلى صنعاء حيث مقر إقامتي وعملي وكان لدي العديد من الالتزامات وقد تعطل جميعنا عن عمله وتضررت مصالحنا نتيجة احتجازنا لمدة (15) يوماً في معتقل سمارة.

قرى تعيش حياة ما قبل الثورة

سمارة هي منطقة تقع أعلى قمة جبل سمارة الشهير الذي يمر منه الطريق الوحيد الذي يربط مدينتي صنعاء وذمار بمدينة إب وتعز ويقع شمال شرق مدينة إب على مقربة من مدينة كتاب جنوب مدينة يريم ويتبع مديرية المخادر ويشتهر الجبل بكثرة الحوادث المرورية فيه وتوجد فيه القلعة التاريخية الشهيرة (قلعة سمارة) غير أن شهرته الآن تحولت بعد حادثة إعتقالنا وأسرنا فيه وأصبح يطلق عليه (جوانتنامو سمارة) وتشتهر منطقة سمارة بتعدد القرى المترامية فوق أعالي قمم جبل سمارة وهي قرى تعيش حياة ما قبل الثورة اليمنية تقريباً، حيث لا طرقات معبدة ولا شبكة مياه ولا هاتف والكهرباء إن وجدت فهي مقطوعة والمنازل قديمة بعضها لا زالت تستخدم الطريق التقليدي القديم حيث لا مجاري ولا بيارات والحيوانات تعيش مع الأهالي في غرف متجاورة والذباب فيها كأسراب الطيور المهاجرة والقمل منتشر فيها والنساء لا زلن متمسكات بزيهن التقليدي المعروف في القرى حيث لم تغزهن العبايات والبالطوهات وجميعهن يعملن في الحقول ورعي الأغنام وجلب المياه والأطفال فيها يمرحون ويلعبون ولا تظهر على أي طفل منهم حياة القرن الحادي والعشرين والناس فيها معظمهم أميون حتى الشباب منهم يقرؤون القرآن بلهجة القرية وبكلمات مكسرة، الجهل يخيم على القرى وكثيراً منهم لا يصلون الصلوات المفروضة أمام مرأى ومسمع من الجميع ومعظم أهالي القرية يشتغلون في المقاولات بمن فيهم الشيخ العميسي وأقرباؤه.

دروس مستفادة

إن أهم ما لفت انتباهي خلال فترة أسرنا في منطقة سمارة هو تكاتف أهل المنطقة وكأنهم أسرة واحدة صغيرهم وكبيرهم وكان قضية أسرهم المختطفين الثلاثة لدى الشيخ فيصل الشعوري هي قضية كل فرد وكل أسرة فيهم جميعهم على قلب رجل واحد صغيرهم وكبيرهم يحمل السلاح ويعمل تحت أمرة الشيخ العميسي وما لفت إعجابنا أننا ونحن في الأسر كنا ضيوفاً كل يوم في بيت بمعنى أن الصبوح والغداء والعشاء والقات وغيره في كل يوم على بيت من القرية وكأن برنامجاً قد أعد سلفاً بذلك والجميع ملتزمون به وذلك لكي لا نكون ضيوفاً ثقالاً على أسرة بعينها وإنما يشارك الجميع في ضيافتنا.

إقامة جبرية

طوال 15 يوماً قضيناها في الأسر في منزل الفقيه نصيب العميسي الذي خصص لنا ديواناً بطول ثمانية أمتار وعرض مترين ونصف متر مرفقاً به حمام ومدخل منفصل عن باقي أجزاء أو مكونات المنزل عشنا كأننا فعلاً في بيوتنا ننام ونصحو ونتناول طعامنا ونغسل ملابسنا ونمرح والجميع يتناول من وقت الظهر وحتى المغرب القات بحضور صاحب المنزل الذي كان شاباً خلوقاً وهو كما أسلفت إمام وخطيب المسجد ويعمل في المقاولات وقد غمرنا بحسن مشاعره الأخوية ونبل أخلاقه حمانا طوال فترة أسرنا برحابة صدر رغم ما تسببنا فيه من إزعاج وتقييد لحرية وحركة أهله وقد منحنا حرية الصلاة في المسجد والخروج إلى القرية ولكن برفقة الحراس المسلحين وصودرت حريتنا في الحركة خارج نطاق البيت والمسجد وصودرت حريتنا في الاتصال باستثناءات بسيطة في كل يومين أو ثلاثة أيام حيث تعطى لنا هواتفنا للاتصال على مسمع من الجميع في وقت محدد لا يتعدى ربع الساعة.

جلسة المقيل

وفي جلسة المقيل يتكرر المشهد كل يوم حيث يجلس الجميع يتناولون القات من بعد الغداء وحتى وقت أذان المغرب ويتجمع في مجلس المقيل إلى جانب صاحب البيت الذي أقمنا فيه بعض من أهالي المنطقة وفي كل يوم نتبادل النقاش والحديث في كل القضايا وطبعاً تطغى على النقاش قضية الساعة وأزمة الديزل والبترول، والانفلات الأمني ومشكلة اليمن والاعتصامات ومن نقاشاتنا المتواصلة تبين أن أهالي القرية كلهم مع الشرعية باستثناء شخصين أو ثلاثة أشخاص.

وكم استمتعنا بالحديث معهم واستمعنا إلى قصص عديدة عاشوها وخصوصاً كبار السن منهم وقد تفهمنا جيداً موقفهم منا ومن أسرنا حيث قال لنا أحدهم: انتم بين أهليكم ونحن نقدر مشاعركم وحقيقة نحن خجلون منكم ولكن لم يكن من وسيلة أخرى لإخراج أسرانا من عند السعوري إلا بأسركم حتى تحل المشكلة سلمياً ويتحرك مشايخكم ويضغطوا على الشعوري ليطلق أسرانا ومن لديه حق يثبته ويأخذه لأننا لو اخترنا الوسيلة الأخرى وهي استرجاع أسرانا منهم بالقوة فسوف تراق الدماء وستتوارث الأجيال ثأراً يظل الدم فيه مراقاً ونحن لا نريد أن نسفك قطرة دم خصوصاً أن الدولة غير قادرة على حل هذه المشكلة.

وفي الحقيقة رغم أننا في الأسر وصودرت حريتنا بغير وجه حق إلا أننا كنا سعيدين بأن هذه المشكلة ستحل سلمياً وسنكون سبباً لفك الأسرى خصوصاً وأنهم غائبون عن أسرهم وأبنائهم قرابة ثلاثة أشهر وقلوب أمهاتهم تنفطر حزناً عليهم غير أن ما كان يحز في أنفسنا أن الشيخ حزام العميسي لم يظهر علينا للحظة واحدة منذ أن وطئت أقدامنا قريته وحتى تم الإفراج عنا وكان الأجدر به وهو كما يقول أهل قريته وأبناء عمومته أنه صاحب حق وشخص جيد أن يظهر علينا ويعتذر عما تعرضنا له من اختطاف من قبل أتباعه وكنا ستفهم موقفه.

لقد أفرزت لنا هذه الحادثة قناعة تامة أن الدولة هذه الأيام غائبة ونايمة في العسل وأن الأمن غير موجود وأجهزة الدولة لا تقوم بواجبها المطلوب تجاه المواطن خصوصاً أنه في ساعة اختطافنا كانت هناك بعض الأطقم العسكرية تمر من نقطة التقطع التي أنشأها أتباع الشيخ العميسي في نقيل سمارة وقد أكد إثنان من المختطفين أنه عندما أرغما على النزول واختطفا كان طقم عسكر خلفهما ولم يحرك ساكناً كما أن الدولة لم تقم بواجبها للإفراج عنا رغم تواصلنا مع وزارة الداخلية (السكرتير الصحفي لوزير الداخلية) وإبلاغ محافظ إب و مدير الأمن وغيرها من والأجهزة الرسمية ولكن للأسف الشديد كان المحافظ جعل أذناً من طين وأذناً من عجين ، ولم يعد من أمل أمامنا للإفراج عنا سوى عبر المشايخ الذين لجأنا إليهم.

المشايخ يتحركون

كلمة شكر هنا نوجهها للشيخ محمد نجيب عضو مجلس النواب والشيخ جمال محمد عايش والشيخ رشاد الشعوري عضو مجلس النواب والدكتور خالد الحزمي والأستاذ حامد الحكمي والشيخ جبران باشا والشيخ الرصاص والشيخ الصبري وغيرهم من المشايخ والأعيان الذين تواجدوا في مدينة إب على مدى أسبوعين في اجتماعات متواصلة للعمل على تحريرنا من الأسر وقد ضحوا بأوقاتهم رغم أن لكل واحد منهم مشاغله وبعضهم كانوا في صنعاء ونزلوا إلى إب وجميعهم دون استثناء بذلوا جهوداً يشكرون عليها.

موقف مشرف لأبناء الحزم

وهنا نسجل أبلغ معاني الشكر والعرفان لكل أفراد أسرنا وأهالينا ولكل أبناء مديرية الحزم وكل الأصدقاء والزملاء وكل من تابع قضيتنا وشاطرنا أحزاننا داخل الوطن وخارجه وغمرونا بحبهم ولم يبخلوا علينا بالدعاء والاتصال والمتابعة المتواصلة فلهم جميعاً كل الشكر والعرفان وفي مقدمتهم جميعاً والدتي ووالدي وجميع إخواني وأخواتي وزوجتي الفاضلة وكل أفراد أسرتي.

زملاء الحرف

نقابة الصحفيين اليمنيين ما إن وصلها الخبر عبر أخي وزميلي فيصل الحزمي الذي يعمل في صحيفة الميثاق سارعت إلى الاتصال بي من خلال مكالمة تلقيتها من الزميل مروان دماج أكد خلالها أن النقابة ستتواصل مع من تستطيع لإطلاق سراحي وأنها ستصدر بياناً وقد أصدرت بياناً غير أنه لم يأخذ صداه من خلال وسائل الإعلام وبخاصة الرسمية فلها كل العتب .

(200) ألف ثمن حريتي

على الرغم من كل الجهود التي بذلها المشايخ والأعيان وأقاربنا ومعارفنا وأصدقاؤنا للإفراج عنا إلا أن حريتنا لم تمنح لنا إلا بعد أن تكبدنا خسائر مادية مباشرة حيث أن (200) ألف ريال دفعت عني بمعية أحد أقاربي صرفت للمشايخ المحكمين من الطرف الآخر وشخصيات اعتبارية أخرى للاهتمام والتفاعل مع قضية إطلاق سراحنا وتحريك الأمور بشكل سريع حتى لا نقضي وقتاً أطول في الأسر ، ولم ينج من الخسائر المادية المباشرة بعض رفاقي في الأسر هذا إلى جانب ما تعرضنا له من تعطيل لمصالحنا وأعمالنا وما نتج عنه من خسائر مادية أخرى أضف إلى ذلك ما عانيناه من ظروف نفسية وصحية سيئة نحن وأهالينا الذين ظلوا طوال الأيام والليالي قلقين علينا لا يذوقون للنوم طعماً يجهلون مصيرنا كل هذا ونحن لا ذنب لنا سوى أننا من أبناء مديرية الحزم محافظة إب فيا ترى من المسؤول عما لحق بنا وما تعرضنا له ؟ ويا ترى هل ستتحول اليمن في ظل الانفلات الأمني القائم إلى دولة مشيخات ويغيب فيها دور المؤسسات؟ فلماذا لا تقوم الدولة بمسؤوليتها تجاه مواطنيها وتفرض سيادة النظام والقانون .

سيارات المخطوفين لا تزال محتجزة

رغم مرور نحو أسبوعين منذ أن أفرج عنا وأطلق سراح جميع الأسرى إلا أن سيارات المختطفين من أبناء الحزم ما تزال محتجزة بدون مبرر .. إنها رحلة لمعاناة جديدة يعيشها أصحاب السيارات الثلاث المحتجزة لدى الشيخ العميسي على أمل أن يفرج عن هذه السيارات وتنتهي معاناتهم في قضية لم يكن لأي منهم علاقة أو رابط بها لا من قريب ولا من بعيد .. ومن هنا نقول للمشايخ المحكمين في هذه القضية كفى استخفافاً بمشاعر الناس ومن سيتحمل الخسائر التي تكبدها المختطفون ينبغي أن تكونوا عوناً للمظلوم وتقفوا في وجه الظالم وتقولوا كلمة حق وتعيدوا الاعتبار مع الاعتذار لكل شخص تضرر من المختطفين العشرة.